

أضواء البيان

@ 155 (الفاتحة) في الكلام على قوله تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } . .

أما تجاهل فرعون لعنه الله لربوبيته جل وعلا ، في قوله : { قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } فإنه تجاهل عارف لأنه عبد مربوب ، كما دل عليه قوله تعالى : { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا أَنْزَلْنَا هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِمَا نَزَّلْنَا } : وقوله : { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنَّهُمْ غُلَامًا وَعُلُوفًا } . .

قوله تعالى : { قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدَأُ الْخَلْقَ } إلى قوله : { فَأَنزَلْنَاهُ فُكُورًا } . .

ألقم الله تعالى المشركين في هذه الآيات حجراً ، بأن الشركاء التي يعبدونها من دونه لا قدرة لها على فعل شيء ، وأنه هو وحده جل وعلا الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده بالإحياء مرة أخرى ، وأنه يهدي من يشاء . .

وشرح بمثل هذا في آيات كثيرة كقوله : { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كُمْ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } ، وقوله تعالى : { وَأَنزَلْنَا هَٰؤُلَاءِ مِنَ دُونِهِ أَلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا } وقوله : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } . وقوله : { أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ مِنْ لَآءِ يَخْلُقُكُمْ } : وقوله : { أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ } وقوله : { قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ } . وقوله : { أَمْ مَن هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ } . وقوله : { إِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } . وقوله : { وَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنزِلَ } . وقوله : { وَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنزِلَ } . وقوله : { وَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنزِلَ } . وقوله : { وَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنزِلَ } .

والآيات : في مثل ذلك كثيرة ، ومعلوم أن تسوية ما لا يضر ولا ينفع ولا يقدر على شيء ، مع من بيده الخير كله المتصرف بكل ما شاء ، لا تصدر إلا ممن لا عقل له ، كما قال تعالى عن أصحاب ذلك : { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي

أَصْحَابِ السَّعِيرِ } . ! 77 ! قوله تعالى : { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا كُنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا تَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } . .
صرح تعالى في هذه الآية الكريمة ، أن هذا القرآن لا يكون مفترى من دون الله مذكوباً به عليه ، وأنه لا شك في أنه من رب العالمين جل وعلا ،